دور التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية:
مقاربة نظرية لأوجه التأثير على الأسرة والطفل

شيماء بوعلام
طالبة باحثة بسلك الدكتوراه في مجال الإعلام وتحليل الخطاب
جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان
المملكة المغربية

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع التلفزيون وإسهامه في التنشئة الاجتماعية، انطلاقا من كون التلفزيون لم يَعُد مجرد وسيلة للترفيه، بل تحوّل إلى مؤسسة اجتماعية وثقافية وتربوية تنافس مؤسسات التنشئة الكلاسيكية كالأسرة والمدرسة. وتتمحور إشكالية الدراسة حول مدى تأثير التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية على ثلاثة مستويات: المجتمع، والأسرة، والطفل، وذلك في ظل التحولات الإعلامية الراهنة وتدفق المحتويات عبر القنوات الفضائية. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مدعّما بالمنهج التاريخي، من خلال مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة العربية والأجنبية. وقد توصّلت الدراسة إلى أن التلفزيون يمارس تأثيرا مزدوجا؛ فهو من جهة أداة فعّالة للتثقيف ونشر الوعي وتعزيز قيم المواطنة، ومن جهة أخرى عامل قد يُسهم في تفكيك الروابط الأسرية وإهدار الزمن الاجتماعي والترويج لقيم دخيلة، خاصة لدى الأطفال الذين يبقون أكثر الفئات تأثرا بالمضامين المعروضة. وقد خلص البحث إلى أن التلفزيون سلاح ذو حدّين، يستوجب التعامل معه بوعي وترشيد، عبر تكامل أدوار المؤسسات الإعلامية والأسرة والمدرسة. واقترحت الدراسة جملة من التوصيات لتعزيز الإسهام الإيجابي للتلفزيون في التنشئة الاجتماعية السليمة.

الكلمات المفتاحية: التلفزيون ـــ التنشئة الاجتماعية ـــ الأسرة ـــ الطفل ـــ القيم ـــ الإعلام السمعي البصري.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract:

This research examines the role of television in the process of social upbringing (socialization), starting from the premise that television is no longer a mere entertainment medium, but has evolved into a social, cultural, and educational institution that competes with traditional socializing institutions such as the family and the school. The study addresses the extent of television's influence on the socialization process at three levels: society, the family, and the child, particularly in light of the current media transformations and the overwhelming flow of content through satellite channels. The research adopts a descriptive-analytical methodology, supported by a historical approach, through a review of relevant Arabic and foreign literature and prior studies. The findings reveal that television exerts a dual influence: on the one hand, it is an effective tool for education, raising awareness, and reinforcing values of citizenship; on the other hand, it may contribute to weakening family bonds, wasting social time, and promoting alien values, especially among children, who remain the most vulnerable to broadcast content. The study concludes that television is a double-edged tool requiring conscious and rational use through complementary roles of media institutions, the family, and the school, and offers a set of recommendations to enhance its positive contribution to healthy socialization.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات متسارعة وعميقة في بنية الاتصال والإعلام، في ظل التوسع غير المسبوق لوسائل الإعلام السمعية البصرية وتغلغلها في مختلف مستويات الحياة الاجتماعية. وفي هذا السياق، برز التلفزيون بوصفه أحد أبرز هذه الوسائط وأكثرها تأثيرًا وقدرة على تشكيل أنماط الاستهلاك والترفيه وإعادة صياغة القيم والسلوكيات والتمثلات الاجتماعية. وبذلك، أضحى التلفزيون فاعلًا اجتماعيًا وثقافيًا وتربويًا ينافس مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية، مثل الأسرة والمدرسة.

وتُعدّ التنشئة الاجتماعية عملية مركزية في بناء الفرد والمجتمع، إذ من خلالها يكتسب الفرد منظومته اللغوية والقيمية، ويستبطن المعايير والأدوار الاجتماعية التي تؤطر سلوكه داخل الجماعة. وقد ظلت الأسرة، تاريخيًا، المؤسسة الأولى والأكثر تأثيرًا في هذه العملية؛ غير أن التحولات التي أفرزها انتشار التلفزيون داخل الفضاء المترلي أسهمت في إعادة تشكيل هذه المعادلة، من خلال إعادة توزيع الأدوار بين مختلف الفاعلين التربويين، وإضفاء طابع جديد على عملية التنشئة يتسم بالاستمرارية والتجاوز للحدود الزمانية والمكانية.

ومع التطور المتسارع للقطاع السمعي البصري، وتعدد القنوات الفضائية وتباين مضامينها وخلفياتها الأيديولوجية، بات التلفزيون قادرًا على إنتاج وبث منظومات قيمية وأنماط فكرية متعددة، قد تتقاطع مع المرجعيات الثقافية للمجتمعات المتلقية أو تتعارض معها. وهو ما يثير جملة من الإشكالات العلمية المرتبطة بحدود تأثير هذه الوسيلة، وطبيعة أدوارها في عملية التنشئة الاجتماعية، ومدى إسهامها في تعزيز أو إضعاف البنى القيمية، خاصة لدى الفئات الأكثر قابلية للتأثر، وفي مقدمتها الأطفال والمراهقون.

وانطلاقًا من هذه الإشكالات، يسعى هذا البحث إلى تحليل العلاقة التفاعلية بين التلفزيون والتنشئة الاجتماعية، من خلال مقاربة متعددة المستويات، تنطلق من البنية المجتمعية العامة، مرورًا بالأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للتنشئة، وصولًا إلى الطفل بوصفه الفاعل الأكثر عرضة للتأثيرات الرمزية والإعلامية. ويهدف البحث، من خلال ذلك، إلى استكشاف طبيعة التحولات التي أحدثها التلفزيون في آليات التنشئة، وتفكيك أبعاد تأثيره في تشكيل القيم والتمثلات داخل المجتمعات المعاصرة.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول الدور المتعاظم الذي بات يلعبه التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية، خاصة في ظل ما تعرفه المنظومة الإعلامية من تحولات متسارعة وما أفرزته العولمة من تدفق هائل للمحتويات والمضامين عبر الحدود. فبعدما كانت الأسرة والمدرسة هما المؤسستان الرئيسيتان المسؤولتان عن نقل القيم والمعايير وتشكيل شخصية الفرد، فرض التلفزيون نفسه فاعلاً ثالثاً له خصوصياته التقنية والتعبيرية، وله تأثيراته العميقة على الفكر والسلوك والقيم.

غير أن هذه التأثيرات ليست أحادية الاتجاه؛ إذ يجمع التلفزيون بين خصائص إيجابية متعددة، تتمثل في التثقيف والتوعية ونشر المعرفة وتعزيز قيم المواطنة والانفتاح على الثقافات، وبين أخرى سلبية تتجلى في الترويج لقيم دخيلة، وتفكيك بعض الروابط الأسرية، وإهدار الزمن الاجتماعي، فضلاً عن انعكاساته الخطيرة على الأطفال من حيث المحاكاة والعنف والاستهلاك.

ومن هنا تنبثق الإشكالية المركزية للبحث في صيغة السؤال الرئيسي الآتي:

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

إلى أي حد يساهم التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية، وما طبيعة تأثيراته الإيجابية والسلبية على المجتمع والأسرة والطفل في ظل التحولات الإعلامية الراهنة؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما الدور الذي يضطلع به التلفزيون في تثقيف المجتمع وتشكيل وعي أفراده؟
2. كيف يساهم التلفزيون في عمليات التغيير الاجتماعي والقيمي داخل المجتمعات؟
3. ما تأثير التلفزيون على بنية العلاقات داخل الأسرة وعلى الزمن الاجتماعي الأسري؟
4. إلى أي مدى يشكّل التلفزيون مؤسسة موازية لمؤسسات التنشئة التقليدية كالأسرة والمدرسة؟
5. ما أبرز الانعكاسات الإيجابية والسلبية للتلفزيون على شخصية الطفل وقيمه وميولاته؟
6. كيف يمكن ترشيد استخدام التلفزيون بما يخدم وظيفة التنشئة التي يقوم بها ويحدّ من تأثيراته السلبية؟

أهداف البحث:

ينطلق هذا البحث من جملة من الأهداف العلمية والمعرفية والتطبيقية التي يسعى إلى بلوغها، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1. إبراز الدور المحوري الذي يلعبه التلفزيون داخل المجتمع المعاصر بوصفه وسيلة اتصال جماهيرية وأداة تثقيف وتوعية.
2. تحليل العلاقة الجدلية بين التلفزيون وعمليات التغيير الاجتماعي والثقافي والقيمي.
3. الكشف عن طبيعة التأثيرات التي يحدثها التلفزيون داخل البنية الأسرية، سواء على مستوى العلاقات أو على مستوى الزمن الاجتماعي.
4. دراسة الدور الذي يضطلع به التلفزيون في بث القيم وترسيخها أو في زعزعتها داخل الأسرة.
5. تسليط الضوء على تأثير التلفزيون في شخصية الطفل من الناحية الفكرية والوجدانية والسلوكية.
6. الوقوف على مكامن الإيجابيات التي يقدمها التلفزيون والاستفادة منها في تعزيز التنشئة الاجتماعية السليمة.
7. اقتراح جملة من التوصيات العملية التي تسهم في ترشيد التعامل مع التلفزيون داخل الأسرة وفي المجتمع.

فرضيات البحث:

تأسيساً على الإشكالية والأسئلة الفرعية المطروحة، يضع البحث جملة من الفرضيات التي يسعى إلى التحقق من مدى صحتها أو بطلانها من خلال الإطار النظري والتحليلي:

1. الفرضية الرئيسية:

يُسهم التلفزيون بفاعلية في عملية التنشئة الاجتماعية بوصفه مؤسسة إعلامية وتربوية موازية، وذلك بدرجات متفاوتة من التأثير الإيجابي والسلبي تتحدد وفق طبيعة المضامين المقدمة وطبيعة المتلقي وسياقه الاجتماعي والثقافي.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2. الفرضيات الفرعية:

1. كلما تنوّعت البرامج التلفزيونية الموجّهة إلى الأسرة والمجتمع، كلما زاد دور التلفزيون في تشكيل الوعي الجمعي وفي توجيه الرأي العام.

2. يُحدث التلفزيون تأثيراً مزدوجاً داخل الأسرة، إذ يجمع أفرادها حوله من جهة، ويُضعف من جهة أخرى التواصل اللفظي والتفاعل المباشر بينهم.

3. يساهم التلفزيون في إعادة تشكيل الزمن الاجتماعي للأسرة، عبر إعادة جدولة الأنشطة اليومية بما يتلاءم مع شبكة برامجه.

4. يلعب التلفزيون دوراً متنامياً في التنشئة القيمية للطفل، قد ينافس فيه دور الأسرة والمدرسة، خاصة في ظل غياب الرقابة الأسرية على المضامين المُشاهدة.

5. كلما كثُر تعرّض الطفل للمضامين التلفزيونية ذات الطابع العنيف أو الاستهلاكي، كلما زاد تأثير ذلك على سلوكياته وقيمه ومخيلته.

6. تتوقف فاعلية التلفزيون في التنشئة الاجتماعية على مدى التوازن بين القيم المحلية الأصيلة التي يبثّها وبين القيم الدخيلة التي تستوردها القنوات.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على مرجعية نظرية تسير وفق المنهج الوصفي التحليلي كونه المنهج الأنسب لطبيعة الموضوع المدروس، إذ يتيح وصف ظاهرة التلفزيون بوصفها وسيطًا اتصاليًا واجتماعيًا، وتحليل أدواره ووظائفه داخل المجتمع والأسرة وفي حياة الطفل، ثم استخلاص العلاقات القائمة بين متغيرات الدراسة. ويوظف هذا المنهج هنا في بعده النظري الخالص، أي بوصفه منهجًا للقراءة المعمقة للأدبيات والمتون النظرية المتراكمة حول الموضوع.

واقتصر البحث على المعالجة النظرية للموضوع وامتنع عن إجراء تحليل مادي (مضموني) للبرامج التلفزيونية، وذلك لاعتبارات منهجية وموضوعية متعددة:

- أولاً، تتحدد إشكالية البحث في بُعد نظري تأصيلي يهدف إلى بناء إطار مفاهيمي متكامل يربط بين التلفزيون والتنشئة الاجتماعية في ثلاثة مستويات (المجتمع، الأسرة، الطفل)، وهي مهمة سابقة منطقيًا على أي تحليل ميداني، إذ لا يمكن تحليل المضامين دون تحديد المرجعية النظرية التي تؤطر ذلك التحليل.

- ثانيا، يسمح هذا التحليل النظري بقراءة الظاهرة المدروسة في عموميتها من خلال ما راكمه الفكر السوسيولوجي والإعلامي من معطيات نظرية ودراسات سابقة معتمدة.

- ثالثا، يُعد هذا البحث، بطبيعته التأسيسية، أرضية معرفية يمكن أن تنطلق منها دراسات ميدانية لاحقة تعتمد على تحليل المضمون أو على المسح الميداني أو على المقابلة المركزة، لكون هذه الدراسة تفتح الباب أمام تراكم بحثي مستقبلي.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أدوات البحث:

اعتمد البحث على عدد من الأدوات المعرفية والمنهجية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- المراجعة المكتبية للأدبيات والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، من كتب ومجلات علمية ورسائل جامعية ومقالات.
- تحليل المضامين النظرية للنصوص العلمية المتعلقة بالإعلام والاتصال والتنشئة الاجتماعية والقيم.
- الاستعانة بمراجع باللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) وترجمة ما يلزم منها لإثراء المحتوى المعرفي.
- تتبّع نتائج الدراسات الميدانية السابقة في الموضوع للاستفادة منها في بناء التحليل.

حدود البحث:

تتحدد حدود هذا البحث في الجوانب الآتية:

- الحدود الموضوعية: يقتصر البحث على دراسة دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية بمستوياتها الثلاثة (المجتمع، الأسرة، الطفل).
- الحدود الزمنية: يستند البحث إلى المعطيات والمراجع المتاحة، مع التركيز على المرحلة الراهنة التي تشهد تحولات إعلامية متسارعة.
- الحدود المكانية: يتخذ البحث طابعاً نظرياً عاماً، مع الاستئناس بدراسات أُنجزت في سياقات عربية وأجنبية مختلفة.

1. التلفزيون في المجتمع وإشكاليات التغيير

التلفزيون في المجتمع:

يسهم التلفزيون في تثقيف المجتمع وتزويد أفراده بالمعارف والمكتسبات الثقافية والقيمية، حيث يعتبر من أهم وسائل الإعلام التي تمكن مستعمليها من الانفتاح على مختلف الثقافات عبر العالم والتعرف على الحياة بمختلف تفاصيلها، في عصر أصبح معه من الضروري أن ندخل في صيرورة انفتاح ثقافي واسع يضمنه الإعلام الذي يرسخ في خصوصياته مبادئ الانفتاح والاحتكاك الثقافي والحضاري.[1]

ويعتبر التلفزيون وسيلة منتشرة وتعبير يكاد يكون شاملا لمظاهر الاتصال الجماهيري المستعملة في الحياة اليومية، فبغض النظر عن تباين نسب المشاهدة وشرائحها بين المجتمعات يسهم التلفزيون في بث الوعي بين مكونات المجتمع وتشكيل الرأي العام بخصوص القضايا المجتمعية والكونية التي يعالجها عبر برامجه. كما له المقدرة على استقطاب الجماهير إليه نظرا لتغير مفهوم ودور التلفزيون الذي كان مقتصرا على تقديم مضامين الترفيه والتسلية ليتحول على فاعل تربوي واجتماعي وتثقيفي.[2]

إن تأثير التلفزيون على المجتمعات يكون بشكل متفاوت يحتكم إلى ظروف هذه المجتمعات من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتتأرجح نسبة التأثير أيضا حسب نوعية البرامج التي تستهلك والهدف من تقديمها دون غيرها، فقد

[1] محمد علي البدوي، دراسات سوسيو إعلامية، دار النهضة العربية، لبنان، 2006، ص.65.

[2] فرحات نادية، التلفزيون وتأثيره على القيم الاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي (شلف)

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يكون التأثير الأقوى راجع إلى المحتويات ذات الطبيعة الترفيهية والمثيرة، وقد يكون أحيانا التأثير نابع من المحتويات التي تأخذ بعين الاعتبار الجوانب القومية والتاريخية والاجتماعية.

لقد اكتُشف أن التلفزيون قادر على التقريب بين أفراد الأسرة وسبب من أسباب اجتماعهم وقضائهم ساعات أكثر بعد اقتنائهم للجهاز. لكن أثبتت الدراسات أيضا أن هذه الأسر لا تتفاعل فيما بينها أثناء المشاهدة، حيث يكون فعل التلقي منفردا وليس جماعيا.[1]

لكن بالرغم من ذلك، يبقى التلفزيون وسيلة تمكنت من استرعاء انتباه وحاجة أفراد الأسر حيث أضحى يحل محل مجموعة من الأنشطة الأسرية القديمة ويتسبب في اجتماع الأسرة معا، لكنه بالمقابل يفقد الأسرة أدوات التواصل اللفظي فيما بينها عن طريق تقارب سطحي بدون محادثة أو تسامر. [2]

وبخضوع الأسرة إلى نفس المؤثرات الصوتية والمضامين البصرية التي يولدها التلفزيون، يكون هذا الأخير قد حقق دوره في توحيد العادات والأفكار والقيم والسلوكيات بين أفراد الأسرة والمجتمع. فالتلفزيون يعتبر وسيلة تثقيف جماهيرية بامتياز، حيث يسهم في تحقيق وحدة الفكر والمعايير والأذواق.[3]

ويعتبر التلفزيون أيضا بمثابة مدرسة تكتنف كل أطياف المجتمع وتزوده بآليات تشكيل الوعي الثقافي والحضاري لديه، كما يمثل وسيلة توضيحية لدور الأفراد داخل مجتمعاتهم. لذا نجد أن التلفزيون يجمع بين الخاصيتين الترفيهية والتثقيفية في آن واحد، فهو وسيلة لصناعة المتعة والترفيه وهو أيضا جهاز ناقل للأخبار والثقافة وأداة لنقاش أهم القضايا المطروحة في المجتمعات والتي تهم الجماهير على اختلاف مستوياتها المعيشية والثقافية والاجتماعية.[4]

للتلفزيون أهمية كبرى على مستوى التلاقح الثقافي، فهو يساعد على تكسير التشبث بالقيم التقليدية من خلال سماحه بالتعرف على القيم الأجنبية لكنه مع ذلك يمكنه أن يسهل عملية السيطرة الأجنبية، بالرغم من قدرته أيضا على ترسيخ وتوطيد قيم المواطنة والوطنية داخل المجتمع. وبالتالي يبقى التلفزيون سلاح ذو حدين يجب التعامل معه بحذر عبر أخذ ما يفيد ودرء ما يعزز تغلغل الغزو الثقافي.

وتحرص القنوات التلفزيونية خاصة الجامعة منها، على أن يكون التلفزيون مكملا وامتدادا للتعليم في المجتمعات، من خلال عملية التثقيف وتنمية المعارف وتكميل دور الأستاذ. كما يعتبر التلفزيون داعما قويا لأفكار المجتمع ومرآة له ولمشاكله ولخصوصياته وبالتالي فهو يعكس تلك الأمور لدى الأسرة أيضا كجزء من المجتمع.[5]

لكن بالرغم من هذه الأهمية التي أصبحت الأسر توليها للتلفزيون، إلا أن هذا التدفق الإعلامي الهائل قد أفرز تعددا في القنوات الفضائية باختلاف غاياتها وبرامجها وإديولوجياتها، مما جعل الأسرة تواجه نوعا من الازدواجية في المرجع الذي تعتمده في تحديد نمط عيشها وسلوكها وعاداتها من خلال التعرض المستمر لأفكار وسلوكيات دخيلة وجديدة عبر التلفزيون. الشيء

---

[1] عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، لبنان، 1984 ص. 56.

[2] أماني عمر الحسيني، الإعلام والمجتمع، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2005، ص.113.

[3] عبد الرحمن عيسوي، مرجع سابق، ص25

[4] إحسان محمد الحسن، علم اجتماع الفراغ، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص.113.

[5] إبراهيم ميخائيل حفظ الله، وسائل الإعلام والتعليم، دار العلم العربي، بيروت، 1979، ص. 254.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الذي يولد صراعا من جهة بين الخصوصيات الفطرية للمجتمع وبالتالي للأسرة وبين ما ينتجه التلفزيون من مضامين ورسائل، ومن جهة أخرى صراع بين الأفكار الجديدة التي يحاول التلفزيون تلقينها وبين أسس التنشئة الاجتماعية المتداولة.[1]

وتظهر الحاجة المجتمعية للتلفزيون من خلال قدرته على جذب الأفراد وخلق الإحساس العارم لديهم بقيمهم وأفكارهم داخل محيط معين، من خلال ما يملكه من خاصيات بصرية وتعبيرية يوظفها في سبيل التعبير على مصالح وايديولوجيات المجتمعات على اختلاف أنواعها والترويج لأفكار ومصالح أطراف المجتمع وللبناته، بالاحتكام إلى الرؤى والخطوط التحريرية والأسس المؤطرة لعمل القنوات التلفزيونية.[2]

وإلى جانب الأسرة والمدرسة، أصبح التلفزيون وسيلة للتنشئة الاجتماعية نظرا للدور الذي يلعبه في بناء المفاهيم الأولية للتربية ثم للتعليم وأيضا في إرساء الأسس المبدئية للتنشئة داخل الأسرة ثم بعد ذلك داخل المدرسة من خلال تكملة دورها. وبالتالي فالتلفزيون يؤثر على أفراد الأسرة باختلاف أعمارهم واهتماماهم وثقافتهم وأجناسهم، حيث يلعب دورا مهما في صيرورة التغيير الاجتماعي الذي ينبني أساسا على إعادة الهيكلة لنظم المجتمع وللعلاقات الاجتماعية ولأنماط السلوك المجتمعي.[3]

ويعتبر التلفزيون من أهم وسائل الإعلام التي "أصبحت من أهم أدوات الضبط الاجتماعي. فكونها أولا ذات طبيعة جماهيرية، ثم ثانيا اعتماد الناس عليها كمصدر يكاد يكون وحيدا للمعلومات بالنسبة لغالبية الناس، جعلها قادرة على أن تجمع الناس، إن لم تحدد لهم ما يصح وما لا يصح من الأكل واللباس وطريقة الحياة، بل وحتى القيم والمعتقدات. إن ترويج وسائل الإعلام لآراء وأفكار معينة والتعتيم على ما يخالفها يجعلها تخلق ما يشبه العرف الذي يتفق الجمهور على قبوله، بل يحاذر الناس من (مخالفة) ما عملت وسائل الإعلام على أن تجعله إجماعا".[4]

التلفزيون وإشكاليات التغيير:

يعتبر التلفزيون عملية اتصال اجتماعية يجب دراستها ضمن سياق اجتماعي واسع، وأصبح بمثابة نشاط فردي جماعي يضم كل عمليات التفكير والإنتاج المجتمعي، وله دور أساسي عبر الإسهام في معالجة القضايا الاجتماعية وفي عمليات التغيير الاجتماعي عبر الترويج لتغير بنيات وأسس التنشئة الاجتماعية وخلق الدوافع وتنمية النقاش والحوار والنهوض الثقافي.

وقد تعلقت وظائف التلفزيون أساسا بطموحات الأفراد وحاجات الكيانات الاجتماعية المختلفة، وأصبح قوة مؤثرة في العديد من أوجه النشاطات الاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية. كما أضحى التلفزيون عنصرا لا ينفصل عن الكيان والنسيج الاجتماعي من خلال التأثير والتأثر في القضايا الاجتماعية.[5]

وللتلفزيون تأثير عميق على المجتمعات. ويحتل مكانة مهمة لدى الأسر، وبالتالي لا بد أن يكون لها تأثير على الفرد والمجتمع أيضًا. فالتلفزيون يتطور بسرعة كمصدر رئيسي للتنوير والترفيه والتسلية. كما يؤثر التلفزيون بشدة على الحياة الاجتماعية للأفراد. وقد أثر بقوة على مواقفهم وعلى عواطفهم.

---

[1] فرحات نادية، مرجع سابق، ص.4.

[2] أماني عمر الحسيني، مرجع سابق، ص.113.

[3] محمد علي البدوي، مرجع سابق، ص. 66-67.

[4] محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998، ص. 39.

[5] سعيد مبارك آل زعير، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 2008، ص. 186.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويلعب التلفزيون دورًا حيويًا في تغيير الشخصيات من خلال تحسين التفكير والمساهمة في صقل القدرات. فالتلفزيون كوسيلة إعلامية قد أوجدت الوعي بين الأفراد والجماعات حول الحقوق والواجبات، وساهمت في إحداث تغيير اجتماعي مطروحة أهميته.[1]

ومن بين جميع وسائل الإعلام اليوم، يستقطب التلفزيون عددا مهما من المشاهدين. وجمهوره يعد أكبر من أي جمهور من وسائل الإعلام التقليدية الأخرى. وذلك لأن التلفزيون قادر على جذب الجماهير من جميع الفئات العمرية.

لقد صمم التلفزيون أساسًا كوسيط جماعي ومعلم جماهيري لكثير من سكانه المنتشرين في المناطق النائية والمتنوعة ثقافيًا. من المفترض أن تنشر رسالة التطوير والتحديث لخلق الوعي ولتوليد المشاركة العامة باعتباره وسيلة للتغيير الاجتماعي والاقتصادي.

وينظر إلى التلفزيون كمحفز للتغيير الاجتماعي وللتنمية الاجتماعية وكوسيلة لتوعية المجتمع بالعدالة الاجتماعية وتثقيف المجتمع وتنمية موارده البشرية ورفعها. وقد شغل التلفزيون حاليًا موقعًا مهمًا في المنازل، كما أشارت الدراسات البحثية إلى أن تصور الرسائل التليفزيونية والصور والأفكار التي يقدمها التلفزيون يشكل النظام الاجتماعي بأكمله.

وقد أدى انتشار البث التلفزيوني إلى خلق الوعي والتقدير للأخلاقيات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المختلفة. كما ساهم التلفزيون في كسر الحواجز الاجتماعية وغرس المزاج العلمي في الجماهير. وأظهرت الدراسات أن التعرض لوسائل الإعلام يؤدي إلى تقدير الروح الاجتماعية والثقافية لأن أي تغيير اجتماعي يستلزم حدوثه تدفق للمعلومات.

كما أن التلفزيون يزيد من فهم الناس فيما يتعلق بالقضايا ويطور الشعور المشترك بالحاجة إلى التغيير الاجتماعي. كما يعمل على سد فجوة التفاهم بين الناس ويحفزهم على الاتحاد من أجل قضايا المجتمع.

يؤثر التلفزيون على الرأي العام ومن بين مهامه إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية، ويبقى الغرض الأسمى من التلفزيون هو الإعلام والتقييم والتوجيه والتعليم والتأثير وإسقاط الصور والتوجيه وخلق بيئة اجتماعية لاتخاذ القرارات الفعالة. وبالإضافة إلى توفير الترفيه، يزيد التلفزيون بشكل كبير من توفر المعلومات حول العالم الخارجي والتعرض لطرق أخرى من الحياة.[2]

تستند النظرية المجتمعية التي تعتمد عليها الدراسات النقدية إلى تنافر عميق في العلاقات بين الفئات الاجتماعية وعلى النزاعات بين المجموعات أو بين الطبقات. حيث يتم ترحيل المحتوى الفني والبرامجي إلى الخلفية لصالح نموذج قائم على علاقات القوة بين الجهات الفاعلة، الجهات المالكة للتلفزيون من جهة، ومن جهة أخرى المشاهدين.

كما نجد أن منطق تيار الاقتصاد السياسي للإعلام (مدرسة فرانكفورت) يتضمن بشكل منهجي التلفزيون في مفهوم أكثر عمومية للصناعات الثقافية ووسائل الإعلام. ويقوم التلفزيون من خلال محتوياته التي يقدمها بنقل القيم المجتمعية ويساهم في عملية التغيير الاجتماعي التي تخضع لها المجتمعات عبر تغيير وتنويع الأيديولوجيات الاجتماعية بالعمل على إعادة بناء الهياكل

---

[1] Nidhi Bhandari, Television as an Agent of Social Change among Indian Women: An Analytical Study, India,2017 p.53.

))تمت ترجمته من طرف الباحث من الإنجليزية إلى العربية

[2] Nidhi Bhandari ، مرجع سابق، ص 54

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. وبالتالي، فإنه يؤدي بشكل خاص إلى توحيد القيم والهويات الثقافية وبالرغم من أنه في أحيان كثيرة يؤدي إلى قمع المجموعات أو ثقافات الأقليات.[1]

2. دور التلفزيون داخل الأسرة

تأثير التلفزيون على العلاقات الأسرية:

لقد ساهم ظهور التلفزيون في تبلور مظاهر جديدة للاتصال الإنساني، وجاء بمثابة محرك لتغيير الحياة الاجتماعية وتبديل طرق وعادات التواصل التي سادت بين الأفراد والجماعات. وهو وسيلة فعالة لتناقل الأخبار والمعلومات بين أفراد المجتمع ولنشر الثقافة والوعي.

ومثل التلفزيون داخل الأسرة بوثقة جديدة جامعة لكل المواضيع والقضايا التي تستأثر بأهمية كل أفرادها على اختلاف خصوصياتهم، فالتلفزيون مستهدف فعال لبنيات الأسرة من خلال استهداف أفرادها من جهة ومن خلال استهداف حاجياتهم في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية...

ويعتبر التلفزيون حلقة قوية داخل الأسرة وداعما صلبا لعملية الاتصال بين أفرادها، فتواجد جهاز التلفزيون في غرفة المعيشة يزيد من فرص الاجتماع حوله للمشاهدة، وبالرغم من كثرة أجهزة التلفزيون في المنازل الآن إلا أنه يتمتع بطابع خاص يميل نحو المشاهدة الجماعية. كما يضاعف التلفزيون إمكانية حدوث الاتصال الجماعي بين أفراد الأسرة ويعمل على تمتين تلاحم الجماعات من خلال حثها على تبادل أطراف النقاش حول القضايا المعالجة ويثير الحوار وتقاسم وجهات النظر.[2]

ويعمل التلفزيون على توطيد العلاقات الأسرية سواء من خلال البرامج الترفيهية التي تتميز بقدرتها على جمع أفراد الأسرة في أوقات معينة، أو من خلال البرامج التي تطرح مواضيع للنقاش والتداول خاصة داخل الأسر التي تتميز بتنوع على مستوى العقليات والثقافة، فذلك بمثابة متنفس لتبادل الأفكار والآراء فيما بينهم مما يزيد من تقاربهم وتفاعلهم مع بعضهم البعض.[3]

لكن وجود التلفزيون بالبيوت قد تسبب في قلة إذا لم نقل انقراض مجموعة من السلوكات الأسرية التي سادت قبل ظهور التلفزيون على وجه الخصوص. فمنذ السنوات الأولى على اكتشاف التلفزيون، فقدت الأسر خارطة علاقاتها الاجتماعية بسبب الوقت التي خصصته للتلفزيون، وبالتالي كان دور التلفزيون في جمع أفراد الأسرة مقتصرا على المحيط الداخلي للأسرة فقط حيث أحدث نوعا من القطيعة بين الأسر والمحيط الخارجي، فكان بمثابة فاصل للأسر عن الاجتماعات الخارجية والزيارات المترددة للأصدقاء أو الأسر الأخرى على سبيل المثال.[4]

ويرتبط دور التلفزيون داخل الأسرة بطبيعة أفراد هذه الأسرة ونمطهم التواصلي، بالنسبة للأسر المثقفة التي تنبني على الحوار والتواصل يستطيع التلفزيون أن يكون عبارة عن قاطرة لإنعاش التواصل والمناقشة وتبادل الأفكار بين أفرادها، كما ينصح في

---

[1] Courbet, Marie-Pierre Fourquet, LES INFLUENCES DE LA TELEVISION: ETAT DES RECHERCHES, 2014, p. 9.

(تمت ترجمته من طرف الباحث الفرنسية إلى العربية)

[2] مارشال ماكلوهان، كيف نفهم وسائل الاتصال؟، ترجمة خليل صابات وآخرون، دار النهضة العربية، لبنان، 1975، ص.30.

[3] فرحات نادية، مرجع سابق، ص.13.

[4] رولان كايرول، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، ترجمة مرشلي محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص.675.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

هذه الحالات أن يشاهد الآباء التلفاز برفقة أطفالهم من أجل توسيع دائرة الاتصال بهم وتكسير الاستقبال اللاتفاعلي الذي يحدث بين الطفل والتلفزيون في غالب الأحيان.

في حين نجد أن الأسر التي تنتمي إلى الأوساط التي تغلب فيها الأمية، لا تتجاوب مع التلفزيون مثلما ينبغي فيكون استهلاكا دون تفاعل أو إعادة إنتاج للأفكار أو المساهمة في حدوث قطيعة بين أفراد الأسرة أو خلافات بسبب عدم الاتفاق على مشاهدة مواضيع موحدة نظرا لاختلاف الاهتمامات والتطلعات.

كما يعتبر التلفزيون عاملا لإهدار الوقت وللإلهاء عن أعمال أخرى قد تكون مهمة داخل الأسرة في حالة لم يتم ترشيد استعمال التلفزيون، مما يحدث خللا على مستوى النظام الأسري المتبع ويسهم في إحداث شرخ بين أفراد الأسرة بسبب التلقي الانفرادي دون مشاركة ما يتم مشاهدته مع الباقين، وبالتالي تقليص مدة وحجم التواصل في بينهم حول أمورهم الواقعية في الحياة.[1]

لكن هذه الآثار المتولدة عن مشاهدة التلفزيون سواء الإيجابية منها أو السلبية، فهي لا تتعلق بالوسيلة في مفهومها الصرف لكن ترتبط بالكيفية التي يتم بها استعمالها وتوظيفها وطبيعة البرامج التي تبث عليها. فالسيكولوجية الاجتماعية للأسر تتأثر بطبيعة المحتويات التي تقدم إليها، لذا نجد أن الفضائيات على اختلاف إيديولوجياتها ومصالحها تنتج برامج متعددة ومختلفة من حيث ما تقدمه من أفكار وما تمرره من رسائل تستهدف نمط عيش وعادات وأخلاق تلك الأسر وفق ما يخدم مصالحها.[2] وهذا ما يمكن اعتباره سببا في اختيار بعض الأسر عدم الانفتاح على هذه الوسيلة الإعلامية خوفا من فقدان خصوصية هويتها ونمط عيشها.

وفي الضفة الأخرى، يعتبر التلفزيون وسيلة فعالة لاستثمار أوقات الفراغ ولخلق جو المتعة وحالات الوئام بين أفراد الأسرة، كما أنه يحظى بأهمية الأسر نظرا لكونه عاكس لواقعهم وحامل لاهتماماتهم ولأوجه نشاطاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية.

تأثير التلفزيون على "الزمن الاجتماعي الأسري":

كان من الواضح أن التلفزيون سيخصص لنفسه حيزا من وقت كل أسرة يدخل إلى بيتها، حيث أصبحت كل الأسر التي تستهلك خدمات التلفزيون تساهم في خلخلة نظامها الزمني المعتاد من خلال الامتثال لما تبثه الشاشة من برامج حسب وقت البرمجة الخاص بها والذي أحيانا يكون مغايرا تماما لنظام الوقت لدى غالبية الأسر.

وقد استطاع التلفزيون كونه أكثر وسائل الاتصال الجماهيري قدرة على جذب المشاهدين، أن يجعل الناس تتخلى عن جداولها الزمنية أو إعادة جدولتها وفق ما شبكات البرامج على التلفزيون، مما أثر على العلاقات الاجتماعية في صلبها من خلال فقدان الوعي بقيمة الوقت أولا ومن خلال ارتفاع عدد الساعات المقضية أمام الشاشات والتي تحث الفرد على إلغاء مواعيده مع الأقارب أو الأصدقاء، وأيضا من خلال السهر مع البرامج التلفزيونية الشيء الذي يؤثر على الصحة وأيضا على العلاقات في العمل أو المدرسة.[3]

---

[1] عبد الله بوجلال، آثار التلفزيون على الأطفال، مجلة البحوث، عدد 1993/1992، ص.69.

[2] عبد الحميد حافيري، التلفزيون الجزائري واقع وآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.30.

[3] فرحات نادية، مرجع سابق، ص.14.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وقد أثبتت العديد من الدراسات التي تناولت تأثير التلفزيون على وقت الأفراد، أن تغيير مواعيد النوم والمأكل والعمل ومراجعة الدروس وغيرها من الأعمال يعود إلى محاولة تطويعها مع مواقيت شبكات البرامج المعروضة على التلفزيون، كما أن الساعات التي يقضيها الطالب على سبيل المثال أمام التلفزيون يمكن أن يزيد منسوبها بمعدل كبير كلما ازدادت رغبته في ما يشاهد.[1]

كما أن سوء استعمال التلفزيون قد يؤدي إلى إهدار الوقت بالنسبة للأسر وبالتالي تغييب دورها في ضبط واقعها وفي تحكمها بزمام أمور أفرادها ومساهمتها في تفاقم بعض الظواهر الاجتماعية السلبية. بالإضافة إلى إهدار وقت وطاقة الشباب مما يسبب نفورا عن العمل والتطوع من قبلهم وبالتالي ركود دورهم المجتمعي الذي يعتبر دورا أساسيا في النهوض بالمجتمع وتنميته.

إلى جانب تأثيره على وقت الأطفال المخصص للعب ووقتهم في التعلم واكتساب المعرفة، مما يؤدي إلى جيل غير واع بأهمية الوقت وغير منتج بالضرورة.

كل ذلك يحيل على أن المجتمع المعاصر أصبح يعيش حضارة الصورة ويبتعد عن المشهد العام والحقيقي للحياة، فمع تعدد وتدفق القنوات والبرامج أصبح من الصعب وضع جدولة زمنية محددة ومستجيبة لكل الرغبات والاهتمامات، حيث يجد المرء نفسه تائها بين ما يجب الاهتمام به في المجتمع وبين ما يجب غربلته من برامج ومحتويات.

دور التلفزيون في بث وترسيخ القيم داخل الأسرة:

يتكاتف التلفزيون مع الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وأيضا في بناء سلوك أفرادها، ويساعدها في القيام بوظائفها التربوية عبر البرامج التربوية والتعليمية والتوعوية التي يقدمها لأفرادها باختلاف أعمارهم، إذ يعتبر بمثابة وسيط لتعزيز النمو الثقافي وحافز لتكوين الشخصية واكتساب المعارف والمهارات.[2]

فالتلفزيون يلعب دورا مهما داخل الأسرة وبالتالي المجتمع، من خلال التأكيد على القيم التربوية للفرد وللمجتمع وعبر تقديم محتويات ناهضة بوعي الفرد وهادفة إلى تبصيره بما يدور حوله محليا وعالميا، فضلا عن دوره في تحفيز العقل على التفكير وبالتالي على التعلم، ومن خلال إظهار سبل التميز والتطور يكون التلفزيون وسيلة محفزة على تنمية المجتمع والنهوض بمكوناته. وكوظيفة أساسية، يعمل التلفزيون على تصحيح المغالطات وتلميع صورة المجتمع بين باقي المجتمعات وأيضا يعمل على كشف الحقائق ويحفز الرأي العام والنقاش العمومي، ويسهم في التوعية حول كل المواضيع والمجالات مثل الصحة والتعليم وتنظيم الأسرة وحقوق الإنسان ومحاربة الأمية وغيرها.[3]

ويساهم التلفزيون في إحداث التوازن الاجتماعي داخل المجتمع من خلال نشر التوعية والعمل على تثقيف كل الفئات الاجتماعية حسب مستواها وحاجتها في التثقيف والتوعية، كما يحفز على تبني المواقف الإيجابية والأساليب الجديدة في التعامل مع النفس ومع الغير ويعمل أيضا على ترسيخ القيم الواجب استحضارها تجاه المجتمع ككل.[4]

---

[1] محمد حمد خضر، تأثير التلفزيون على الأسرة، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1998، ص.21.

[2] شون مايكبرايد، أصوات متعددة والعالم واحد:الاتصال والمجتمع اليوم والغد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص.52.

[3] نادية بركات، التلفزيون وتأثيره على القيم الاجتماعية والثقافية في الأسرة، رسالة جامعية، ص.21.

[4] آنجي وراك، وسائل الإعلام، ترجمة ميشال تيكلا، مطبعة الاستقلال، القاهرة، 1984، ص.245.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية مرتبطة بالطفل على وجه الخصوص، فالتلفزيون المواكب لعصر العولمة والحداثة قد تجاوز ذلك ليشمل تأثيره كل فئات وشرائح المجتمع. ويظهر تأثيره جليا من خلال ضمور الحماس لدى المجتمع تجاه قيمه وثوابته الاجتماعية الخاصة وسعيه إلى تبني قيم جديدة ودخيلة تعكس مظاهر الحداثة والعصرنة، وبالتالي أصبح التلفزيون منافسا للأسرة والمدرسة في عمليات التنشئة والتوجيه والتكوين أيضا، باعتباره وسيطا سمعيا وبصريا يتجاوز الحدود الزمكانية. [1]

ويبرز دور المؤسسات الإعلامية التلفزيونية الوطنية أساسا في إيجاد نوع من التوازن بين ما تنتجه من مضامين تستوفي شروطها في ترسيخ القيم الاجتماعية المحلية وبين ما تستورده من برامج أجنبية بهدف الانفتاح والربح. كما أن ترشيد استعمال التلفزيون داخل الأسر عبر اختيار البرامج التي تروج للقيم المجتمعية وللخصوصيات والثوابت داخل المجتمع يساهم في رسم طريق الاستخدام السليم للتلفزيون وبالتالي الاستفادة منه كوسيلة فعالة للتنشئة الاجتماعية تعرض القيم الإيجابية داخل الأسرة وتساهم في بناء نموذج المواطن الصالح والفرد المتشبع بثقافة حقوق الإنسان.[2]

إن ما يتعرض له أفراد الأسرة من مضامين سمعية بصرية غزيرة عبر التلفزيون، قد يبتعد عن دوره الأساسي في التثقيف والتوعية ليتجاوزه إلى خلق نوع من التشرذم الفكري أولا بين القيم الأسرية المفطور عليها وبين القيم الجديدة التي يروج لها التلفزيون، وثانيا بين أفراد الأسرة بنفسهم من خلال إتباع كل فرد لصنف معين من القيم المروج لها والعيش مغتربا مع ما يشاهده وما يستهلكه على التلفزيون داخل منظومة أسرية واحدة.

وانطلاقا من الحاجة الربحية التي تسيطر على كل المؤسسات الإعلامية يمكن تفسير هذا الاختلاط بين القيم على التلفزيون، حيث أصبحت القنوات تبيح استيراد البرامج الأجنبية المسوقة لقيم صانعيها في الدخول إلى المجتمع مقابل أرباح مادية طائلة لم تعد القيم الاجتماعية تجد موضعها أمامها. الشيء الذي يضرب أسس التنشئة الاجتماعية عرض الحائط وبالتالي تحول التلفزيون إلى مظهر من مظاهر سلبيات الواقع الاجتماعي والتربوي وأيضا سببا فيها.

إن القيم الاجتماعية تتأثر بالتحولات التي تطرأ على المجتمع، ولا يتحقق البناء الاجتماعي إلى بصلابة هذه القيم الاجتماعية والثقافية التي تعود إلى جودة التنشئة الاجتماعية بالبلدان. فالبناء الاجتماعي يعكس أهمية التنشئة من خلال تحقيق التوازن بين التأثيرات الثقافية وأساليب الضغط الاجتماعي داخل منظومة هذا البناء، بهدف العثور على صيغة توافقية بين الحاجيات والسلوكيات الفردية وبين أسس ومطالب البناء الاجتماعي. [3]

يعتبر التلفزيون وسيلة اتصال جماهيري مبينة بالأساس على التأثير، وقد استعملته المجتمعات من أجل أن يحقق هذه الخاصية على مستوى أنماط القيم والأفكار والسلوكيات الإنسانية. حيث يعتبر التلفزيون أداة فعالة للتغيير الفكري والقيمي من خلال تقديمه لمحتويات قادرة شكلا ومضمونا أن تفرض هذا التغيير بشكل مستتر وعلى فترات زمنية يرتبط طولها بمكانة التلفزيون والأهمية التي تولى إليه داخل المجتمع. فالتلفزيون كان ولا زال وسيلة للتثقيف والتوعية السياسية والاجتماعية، إلا أن العولمة والحداثة شكلا ثنائيا مربكا لهذا الدور الذي تعقد أكثر عندما أصبح يستهدف تكوين الهويات الثقافية الجديدة.[4]

---

[1] عبد الرزاق محمد الدليمي، عولمة التلفزيون، الطبعة الأولى، دار الحرير للنشر والتوزيع، 2005، ص.27.

[2] زكاريا عبد العزيز محمد، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 2002، ص.61.

[3] نادية بركات، مرجع سابق، ص.17.

[4] كاريس باركر، التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية، ترجمة "علا أحمد صلاح"، الطبعة الأولى، مجموعة السبيل العربية، مصر، 2006، ص.35-36.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويعتبر التلفزيون وليد انفجار تكنولوجي ونتيجة لتحولات اجتماعية وقيمية شهدتها المجتمعات على مر السنين، فهذه التحولات شكلت فائضا غير اعتياديا من الإفرازات الجديدة التي طالت القيم والسلوكيات والعادات المجتمعية، وفرضت ضرورة ملحة لوجود وسيلة أو قالب لتفريغ هذه الإفرازات وبلورتها. فكان التلفزيون غاية ثم وسيلة استطاعت الذوبان في المنظومة الاجتماعية القيمية وتمكنت من الاستيلاء على مكان الوسائل الثقافية التقليدية، ولنا أن نلمس أوجه التناقض بين بعض المضامين التلفزيونية المستوردة خاصة الترفيهية منها وبين القيم الفكرية والمجتمعية المتعارف عليها، بذريعة قد تبدو منطقية في زمن التحديث وهي تحقيق القطيعة مع النسق القيمي التقليدي من أجل فتح الباب للتجديد ولتكوين مجتمع مدني منفتح.[1]

إن ضرورة التحاق بعض المجتمعات بالركب التكنولوجي واستفادتها المتساوية مع باقي المجتمعات التي اقتلعت جذور نمط عيشها الاجتماعي والثقافي والقيمي بما يمليه الحاضر والمستقبل من تطور، جعلت من التلفزيون وسيلة ضرورية للإسهام في هذا الالتحاق والتحديث من خلال الترويج والتمهيد له عبر إنتاج واستيراد البرامج ذات حمولة فكرية وقيمية مختلفة تحاول في عمقها استتباب التغيير في صلب القيم المتداولة في المجتمع.

لكن هذا التحول قد ساهم أيضا في حدوث نوع من الارتباك داخل المجتمعات، حين وجد الفرد نفسه مغتربا أمام وابل من القيم والعادات والسلوكيات الدخيلة التي تروج لها أطراف بغية خدمة مصالحها بالأساس عبر الإعلانات والبرامج التي تنتجها.[2]

وقد استمرت الكتابات حول تحول التلفزيون إلى وسيلة للقوة الناعمة التي تسيطر على المبادئ والقيم الخاصة بالمجتمعات، واتفق معظمها على أن انتشار القنوات التلفزيونية خاصة الغربية منها كان نتيجة للرغبة في غسيل الأدمغة وتغيير العقليات والتحكم باتجاهات الرأي العام وكذا توجيه حاجيات الناس وميولاتهم إلى ما يخدم سياسات وإيديولوجيات بعض الأطراف المالكة والمهيمنة على المنظومة الإعلامية الدولية[3]

لكن يبقى التلفزيون مؤسسة فاعلة في التنشئة الاجتماعية من خلال دوره في ترسيخ القيم وبث المبادئ وتخليق المنظومة الأسرية عبر المضامين الموجهة إلى مختلف أفراد الأسرة، وفي حالة تعارض القيم التي يروج لها التلفزيون مع القيم الأسرية فحينها يلزم غربلة هذه القيم التلفزيونية وتغليب الأسرية الواقعية عليها.[4]

وعلى إثر هذه التحولات التي شهدتها المجتمعات، فرضت العولمة الاقتصادية والثقافية قالبا يحمل كلا الجانبين الاقتصادي والثقافي يتمثل أساسا في الإشهار. حيث تؤدي الإعلانات التلفزيونية على وجه الخصوص دورا اقتصاديا مهما بحيث أنها دعامة مالية مربحة للمؤسسات المالكة، وأيضا حاملا لقيم اجتماعية وأخلاقية وفكرية جديدة تسوق لنفسها من خلال كل الأساليب الجمالية والإقناعية التي يزخر بها الإشهار.

---

[1] أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، الطبعة الأولى، دار أماني عمر الحسني، الجزائر، 1999، ص.53.

[2] صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات العربية، الطبعة الخامسة، دار المجدلاوي للنشر، الأردن، 2006، ص.253.

[3] طه عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص.210.

[4] نادية بركات، مرجع سابق، ص.15.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وبالنظر إلى الإعلانات التلفزيونية المحلية والأخرى المستوردة من الغرب خاصة يتبين الفرق واضحا بين القيم التي يحملها كل نوع، فكل إعلان يسوق للقيم التي تريدها الجهة الصانعة له. وقد تحدثت دراسات عديدة عن اكتشاف قيم أخرى جديدة عبر القنوات التلفزيونية إلى جانب القيم الاجتماعية والثقافية الخاصة بكل مجتمع.[1]

ويبقى التلفزيون أداة داعمة لثقافة المجتمع ووسيلة ناجعة لنشر الوعي والتزويد بالمعارف والأخبار والحقائق حول أبرز القضايا المجتمعية الحارقة والمطروحة على ساحة النقاش. فهو وسيط فعال لكل ما سبق من خلال قدرته التقنية المتمثلة في الصورة والصوت والمتكيفة مع مستلزمات التنشئة الاجتماعية في كل مجتمع، فضلا عن كونه قاطرة تنقل الثقافة وتطورها بين الأجيال وترسخ القيم والثوابت في الحياة الأسرية والمجتمعية. **الطفل والتلفزيون:**

تأثير التلفزيون على الطفل:

من الحتمي أن يؤثر تعرض الأطفال المستمر للتلفزيون لساعات طوال على أنماط سلوكياتهم وأفكارهم وقيمهم وميولاتهم، وهذا ما يجعل للتلفزيون تأثيرا كبيرا ودورا مهما في التنشئة الاجتماعية والفكرية والقيمية عند الأطفال.[2]

فالتلفزيون وسيلة قوية لتعريف الطفل بمكونات مجتمعه ومؤسساته الافتراضية والواقعية، الضمنية والملموسة، وأداة لمساعدته على النمو واكتساب المعارف وصقل المهارات في ظل منظومة أخلاقية وقيمية مرتبطة بسياق ومجتمع معين. وكل ذلك من خلال برامج تلفزيونية مناسبة وملائمة لعمر ومحيط وحاجيات الطفل.[3]

يعمل التلفزيون عبر برامج الأطفال التي تركز على التنوع والتعدد اللغوي على تعزيز الملكات اللغوية وزيادة التراكم اللغوي لدى الطفل وتحبيبه في إتباع البرامج التعليمية المصاغة باللغات الأجنبية، كما يسهم في تقوية حب الاستطلاع لدى الطفل وتمتين قيمه وتدريبه على طرح السؤال وحب الاكتشاف والتحليل وحسن المتابعة، عبر برامج ثقافية وتعليمية ومعرفية تعتمد على مضمون قوي وهادف وشكل مغر يبعث الطفل على المشاهدة.

يزيد التلفزيون من منسوب الذكاء لدى الأطفال، ويعتبر وسيلة تعليمية وتكنولوجية ناجحة في تطبيق استراتيجيات الذكاء في أذهان الأطفال المشاهدين. حيث يعمل التلفزيون على بعث وتنظيم مجموعة من الصور المتحركة التي تنقل الطفل عبر عوالم متعددة مثيرة للخيال وباعثة على التفكير وسهلة التخزين في الذاكرة، ومنا هنا يبدأ الطفل في تشكيل وعيه بما يحيط به رمزيا وفكريا.

وتمتاز البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الطفل بكونها نافذة إيجابية ومنفتحة على العالم، كما أنها تعطي الصورة والنموذج الإيجابي والصالح للتجارب وأنماط السلوك التي يجب إتباعها. كما يعتبر التلفزيون مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وناشر للقيم الاجتماعية في صفوف الأطفال من خلال التعريف بالتراث وبالقيم الدينية والأخلاقية والسياسية في المجتمع[4]، ويلعب دورا أساسيا في تكميل العملية التربوية وتبسيط بيداغوجيات التعلم المعرفي والتحصيل الدراسي.

---

[1] راسم محمد جمال، الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، 2006، ص.175.

[2] محمد عبد الرزاق إبراهيم، ثقافة الطفل، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن، 2004، ص.254.

[3] نادية بركات، مرجع سابق، ص.10.

[4] ممدوح رضا الجندي، وسائل الإعلام والطفولة بين الإيجابية والسلبية، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2015، ص.120-121.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويسهم التلفزيون أيضا في الارتقاء بالذوق الفني والحس الإبداعي لدى الأطفال، ويمكنهم من الاستمتاع بوقتهم وتدبير فراغهم من خلال برامجه التعليمية الموجهة لهم. كما يعتبر وسيطا بالغ الأهمية بين الطفل وأسرار العالم، حيث يساعدهم على توسيع مداركهم وقاعدة معارفهم بالإضافة إلى شحذ طاقاتهم والتأثير في ميولاتهم وسلوكياتهم مع أنفسهم ومع الآخرين، وأيضا يشكل معملا لتوحيد الفكر والتفكير لديهم عبر العمل على التوجه إلى شريحتهم العريضة مع التأكيد على نفس العادات والتقاليد والقيم والأذواق الجمالية.[1]

يعمل التلفزيون بأساليبه التقنية والجمالية على تقريب الواقع من الطفل وتقديمه وفق الطريقة المثلى لفهمه وبالتطابق مع قدرته على التجاوب معه، مما يؤدي إلى تنمية خيال الطفل وخبرته أيضا في ما يشاهده وفي كيفية فهمه له. أما عن تفسيره للمضامين المشاهدة، فذلك يساعده على إعمال العقل والتفكير وبالتالي تدريبه على حل المسائل والمشاكل من خلال الربط والجمع والاستنتاج.

وينمي التلفزيون الملكات والمهارات الفكرية للطفل ويحفز على محاكاة مضامين البرامج الموجهة إليه، من خلال تنمية نشاطه الحركي والجسماني وأيضا تنشيط خلايا تفكيره والرفع من نفسيته وروحه الإبداعية.

ولكن قد ساهم التلفزيون أيضا في تغريب شخصية الطفل من خلال تضخيم الزخم الإيجابي حول المجتمعات الغربية وأنماط عيشها مغيبا بذلك معيبات هذه المجتمعات ومساوئها، مما جعل الطفل مخدوعا وملتهيا بالنموذج الغربي دون غيره حتى أصبح النموذج القدوة للكثير من الأطفال.

ونظرا لاختلاف البيئات الأسرية من مجتمع إلى آخر، يجد الطفل نفسه أحيانا حائرا وتائها في الاختيار بين ما يتلقاه من معطيات تثقيفية وقيمية على التلفزيون وبين ما تلقنه له أسرته من قيم تربوية وسلوكية، مما يسبب في تشكل ازدواجية أو انفصام في فكر وشخصية الطفل وسط هذا التشرذم التوجيهي.

تعتبر البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الطفل كمعمل لصناعة القيم وترسيخها في ذهن الجمهور الناشئ، فأفلام الكرتون على سبيل المثال تستبيح أحيانا طرق العنف والحركة المبالغ فيها من أجل تمرير رسائل قد تكون في صلبها نبيلة، لكن الطفل يستطيع تمييز هذه الطرق التي أحيانا تستهويه ويتخذها بالممارسة.[2]

ويخلط بعض الأطفال بين مشاهد الخيال ومشاهد الواقع، فيحاولون تقليد ما يرونه من حركة وعنف على التلفزيون وأن يطبقونه على أرض الواقع من أجل التخفيف من حدة الإحباط الذي يعيشه البعض منهم أو من أجل الرغبة في فرض الذات وإبراز الوجود، الشيء الذي يؤدي بالضرورة إلى إيذاء الطفل لنفسه ولأقرانه عبر الأعمال العدوانية والاعتداءات ويجعله يعيش عالما من الخيال الذي تغيب ملامحه في واقعه المعاش.[3]

---

[1] أشرف قادوس، الأدب الالكتروني آليات الغرس الثقافي وأخلاقيات الطفل العربي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015، ص.17-20.

[2] طه أحمد الزيدي، دراسات في تأثير القنوات الفضائية على المجتمع وفئاته، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، 2014، ص.124.

[3] أحلام العمراوي، أثر مشاهدة التلفزيون في تشكيل القيم التربوية للطفل الجزائري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم الإعلام والإتصال، جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–، الجزائر، 2017، ص.100.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

كما يربي التلفزيون في حالات سوء الاستعمال على الانكماش والسلبية والتواكل، فهو يقدم صورا جاهزة وأحيانا سهلة وواضحة بقدر مبالغ فيه لا يحتاج معه الطفل إلى إعمال عقله وبذل جهد من أجل التفكير والفهم، بل يتعود على الاتكال على التلفزيون في إيجاد الحلول فيصير مستهلكا لا منتجا وقليل الإبداع والخيال.

ومن الناحية الفكرية، يلعب الطفل حقًا دورًا نشطًا في ظاهرة الإعلان حتى لو لم يدرك دائمًا كل السلاسل التي يمر منها الإشهار من حيث الفهم المنطقي. ويترتب على ذلك بوضوح أن الطفل لا يخضع للاتصال التجاري الذي يهدف إليها المستشهرون ولكنه يستخدمه لزيادة خبرته المعرفية. لذلك يبدو أن الإعلان التلفزيوني لا يحبذ الركود الفكري للطفل، شريطة أن يعيش الطفل في بيئة طبيعية. بل على العكس من ذلك، إذا كان محيط الطفل يحفز على التفكير ويحرص على تدبير المشاهدة بصفة عامة، يجد المحاكاة المجانية والسرور الذي يحفزه على النظر إلى ما وراء الإعلان ومقارنته وإعادة تقييم الصورة التي صنعها عنه.[1]

ومع الكم الهائل والغزير من المعطيات المعرفية التي يقدمها التلفزيون للأطفال، يتيه الطفل بين هذه المحتويات ويضيع في الاختيار بينها أو في تحليل مضامينها مما قد يفسد ذوقه ويروض سلوك التلقي لديه على الميكانيكية والاستهلاك.

ويمكن للطفل أن يشعر بالخوف أثناء مشاهدته للتلفزيون في حالات بعينها، حيث يخاف الطفل إذا كان يرى نفسه في موقع بطل مهدد بالخطر، أو حين يخلط بين الخيال والواقع في سن صغيرة لا يكون فيها الطفل قادرا على التمييز بينهما أو على التفريق بين التمثلات الواقعية والأخرى التي تبقى حبيسة الخيال، وأيضا يخاف الطفل إذا شاهد موقفا سيئا على التلفزيون سبق وأن حدث معه وأثار خوفه في الواقع.

بالإضافة إلى أن تعرض الطفل إلى المحتويات التلفزيونية باستمرار يجعله غائبا عن منظومة العلاقات الإنسانية التي تربطه بذويه وبأصدقائه وبمحيطه، مما قد يبطئ عملية التأقلم مع فضائه ويفسد عملية اكتسابه لمفردات كلامه ولغته نظرا لقلة تفاعله وتحاوره مع مكونات واقعه.

إن الأطفال والمراهقين اليوم يقضون وقتا أطول في مشاهدة التلفزيون بالمقارنة المدرسة. وعلى الرغم من أن العديد من الآباء يشعرون بالقلق بشأن صعوبات تعلم أطفالهم، إلا أنهم يشعرون بالعجز أيضا في مواجهة البرامج التي تحتوي على مشاهد العنف خاصة على القنوات التجارية. فالمنطق الوحيد من أجل الربح بالنسبة للمؤسسات المالكة، هو توجيه محتويات ومضامين للأطفال لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات في اليوم، الذين لا يملكون سلطة أخرى غير سلطة الكبس على زر جهاز التحكم ثم أخذ أقصى ما يمكن أخذه.[2]

تأثير التلفزيون على قيم الطفل وميولاته:

للتلفزيون قدرة كبيرة على جذب الصغار كما الكبار، حيث تستقطب شاشته ملايين العيون كل ثانية لتوفره على خصائص تقنية وأخرى تعبيرية قادرة على إنتاج مضامين تهم كل شرائح المجتمع وتتنوع مواضيعها لتشمل كل مجالات الحياة. كما له

[1] RTBF,Les Enfants et la Télevision, Etudes de Radio-Télévision, 1985, p.20.
(تمت الترجمة من طرف الباحث الفرنسية إلى العربية)

[2] Ségolène Royal, Le ras le bol des bébés zappeurs, Editions Robert Laffont, 1989, p.197.
(تمت ترجمته من طرف الباحث من الفرنسية إلى العربية)

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مكانة خاصة ومتميزة لدى الجمهور الناشئ ويعتبر مؤسسة مهمة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى جانب الأسرة والمدرسة، وأيضا مؤثر قوي على قيم الطفل وتوجهاته وسلوكياته.

ويستطيع التلفزيون أن يجذب الطفل من خلال طريقته الفريدة في عرض المواضيع التي تتعلق بهذه الفئة العمرية من المجتمع، فهو من المثيرات الحسية والعقلية والانفعالية التي تستهدف نفوس الأطفال وتحتوي عقولهم وتدهش عواطفهم، كما أن التلفزيون يعتبر من أبرز الوسائل المؤثرة والموجهة للطفل ولقيمه الاجتماعية والفكرية والسلوكية داخل محيطه ومجتمعه.

لكن هذه القدرة التي يتمتع بها التلفزيون غير واضحة الانطباع والتأثير وتبقى عامة في مفهومها. فبالرغم من أن التلفزيون وسيلة للتعلم والترفيه واكتساب المعارف وصقل القيم والمواهب، إلا أنه وفي أحيان كثيرة يغيب معها التدبير والمراقبة ينفلت هذا الدور من إيجابيته ليتحول إلى ما من شأنه أن يغير من قيم الطفل إلى الاتجاه المعاكس للصواب وأن يؤدي به إلى الانحراف خاصة مع المضامين المحتوية على العنف والدافعة إلى التقليد والاستهلاك في الوقت الذي يجب أن تراهن هذه الوسيلة على الارتقاء بفكر وقيم أطفال اليوم خاصة في ظل هذا الانفجار التكنولوجي الجديد.[1]

وكما سبق الذكر، فالتلفزيون أصبح مؤسسة منافسة لباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية بل وأكثر أهمية من الأسرة والمدرسة في عصرنا الحالي، فبالرغم من أن الأسرة تلقن الطفل المبادئ الأولى وتزكي قيمه الفطرية، وبالرغم أيضا من كون أن المدرسة تفتح أمام الطفل أبواب المعرفة والعلم وتنقل إليه ثقافة مجتمعه ومحيطه، إلا أن تأثير التلفزيون ووسائل الإعلام بصفة عامة على الطفل له قوة خاصة يجتمع فيها التقني والتعبيري، الملفوظ وغير الملفوظ، من أجل زرع التغيير في طريقة فهمه لواقعه وبغية نقله إلى العالم الخارجي وزيادة قدرته على التخيل والتصور لما يدور داخل وخارج عالمه الخاص.[2]

ومن الخاصيات القوية للتلفزيون أن ما يبثه على شاشته ليس لحظي التأثير لكن تأثيره على الطفل خاصة يستمر لوقت أطول ويمكن أن ينتهي بالاقتناع والاستهلاك الفوري والأحادي، خاصة وأن الصورة والكلمة عند اجتماعهما يستميلان العواطف والوجدان لسيما أثناء التسويق للمنتوجات الاستهلاكية والأفكار الخيالية الذي يخاطب العقل الباطن واللاشعور الغرائزي لدى المتفرجين. فالأطفال قد يشككون في نصائح آبائهم إذا ما تعلق الأمر بمنتوج أسال لعابهم على التلفزيون.[3]

ويستغل التلفزيون حاستي البصر والسمع كأقوى حاستين يمتلكهما الإنسان، فمن خلال جمالية الصورة ولغة المضمون يخاطب التلفزيون اللاوعي ويغرس رسائله في صلب العقل الباطن عبر عمليات البث المستمر للصور والذي لا يمكن للطفل أن يواكب سرعته أو أن يفكر في مضمونه، فالتلفزيون يعمل بأساليبه على دغدغة مشاعر وعواطف الأطفال ثم استمالتهم للدخول في عالم من الصور الاستهلاكية غير المحدودة والتي لا تتيح لهم فرصة للاختيار والاستيعاب والتحليل والمناقشة.[4]

لقد توجهت الدراسات في مجال الاتصال الجماهيري إلى دراسة مكونات ومسوغات الصورة الذهنية التي يكونها التلفزيون لدى الطفل على مختلف المستويات، فالتلفزيون أصبح عنصرا مهما في حياة الأطفال ويلعب وظيفة حقيقية في مجال التربية والتعليم. وذلك يمكن استشفافه انطلاقا من ردود الفعل المسجلة في صفوف الأطفال بعد كل لحظة يتعرضون فيها إلى الشاشات.

---

[1] بن زروق جمال، أثر التلفزيون على سلوكيات وقيم الطفل، جامعة عنابة، تونس، تاريخ الاطلاع 2019/03/29، ص.1.

[2] مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، دار الكلمة للطباعة، القاهرة، ص.20.

[3] عاطف شحاتة زهران، التلفاز وتنشئة الطفل الاجتماعية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 341، جويلية 1994، ص.64.

[4] محمد حمد خضر، تأثير التلفزيون على الأسرة، الطبعة الأولى، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1998، ص.18.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وانتقل العلم إلى دراسة الأنماط السلوكية الاجتماعية للطفل بعد مشاهدة التلفزيون، لكي يتوصلوا إلى أن التلفزيون وسيلة تأثير قوية على القيم الاجتماعية التي يتعلمها الطفل منذ السن التي يعي فيها بمحيطه، بغض النظر عن طبيعة المحتويات التي يشاهدونها وعن ما تحدثه في توجهاتهم وفي قناعاتهم.

ويحفز التلفزيون على بناء شخصية الطفل ومساعدته على النقد الاختياري لما يولي له الاهتمام في حياته وفي محيطه، كما أنه يرفع من وعيه تجاه مجتمعه ويزرع فيه الرغبة في التعرف على خبايا العالم والمجتمع وأيضا الرغبة في تغيير مجموعة من الأنماط الفكرية والسلوكية والثقافية السائدة والتي لا تتماشى والعصر الحالي. إلا أن الرفع من الوعي يستلزم عملا جبارا بالنسبة للطفل لأن صعوبة ذلك تكمن في المفارقة بين تعدد القيم وكثرتها وبين قلة تطبيقها في واقع المجتمع.[1]

يتوفر الأطفال على حاجيات نوعية خاصة بهم يصعب أحيانا على الآباء أن يتكيفوا معها أو أن يخضعوا لها أو حتى أن يوجهوها ويتعاملوا معها بالطريقة اللازمة، مما يؤدي بالطفل إلى اختيار التلفزيون كبديل يجد فيه هذه الرغبات والحاجيات على شكل صور ومشاهد تغنيه شيئا ما وتلهيه على تحققها في الواقع.

والأطفال مجملا في حاجة إلى تنمية طاقاتهم وتحفيز رقابتهم الذاتية ودفعهم إلى الاقتناع بالتحرر من التبعية إلى والديهم أو لأي وسيلة تؤطر سلوكياتهم بالطريقة التي تعتبرها الأمثل لذلك. لكن التلفزيون يرسخ من هذه التبعية من خلال وضع الطفل في خانة المتابعة وأمره بالأخذ والتلقن دون قدرة على المناقشة أو الاختيار الذاتي، في الوقت الذي يحتاج فيه الطفل إلى التحلي بالمرونة في التعبير عن ذاته وعن محيطه وإلى اكتساب الحق في الممارسة التطبيقية للقيم الاجتماعية التي يكتسبها على ارض واقعه.

وللتلفزيون دور كبير في تكوين شخصية الطفل وزرع القيم والمبادئ في نفسه على أساس البذل والعطاء والتحفيز على محاربة الأفكار والممارسات الخاطئة التي تعرقل نمو وتطور المجتمع، وذلك عبر تقديم برامج تلفزيونية توضح معنى وقيمة التحلي بالخصال الحميدة في تنمية المجتمع، وتعمل على تنمية القيم والتعاون والإخلاص والتواضع والإيثار وروح المسؤولية وغيرها من القيم التي تساهم في تطوير نفسية وقدرات الأطفال.

ويعزز التلفزيون دور الأسرة من خلال إنتاج برامج تؤكد على القيم الأسرية وتجودها وتحسن من طريقة تلقينها للطفل، كما يوطد دور المدرسة عبر بث برامج تربوية وتعليمية تزيد من تحسين التحصيل والفهم لدى المتمدرس.

كما يعزز التلفزيون قيم الديمقراطية والحرية والمواطنة، ويحث على الوفاء بالالتزامات والمواعيد واستغلال الوقت وتكوين علاقات مثمرة ومفيدة[2]، كما يبعث التلفزيون على التنظيم ويساهم في تكوين أطفال واعون بأهمية الوقت وبطرق ومواضع استغلاله.

ويسهم التلفزيون بقدراته السمعية والبصرية على تنمية وظائف النمو العقلي لدى الطفل عن طريق برامج ألعاب الذكاء وأفلام الكرتون التي تستقي قصصا من الواقع أو من الخيال وتبلورها في قالب من المرح المفعم بالنصائح والمضامين التعليمية وبالتسلية، مما يجعل الطفل يتكون أثناء مشاهدتها على المستوى الفكري والقيمي والنفسي أيضا.[3]

[1] ماري وين، عبد الفتاح الصبحي، الأطفال والإدمان التلفزيوني، عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الأولى، 1978، ص. 20.
[2] صالح خليل المقور، الاعلام والتنشئة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص.262.
[3] فاطمة حسين عواد، الإعلام الفضائي، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص.80-81.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

"وتقدم البرامج التلفزيونية في المجتمعات العربية على سبيل المثال، "قصصا دينية مختلفة كقصص الأنبياء والهدف منها تعزيز القيم الدينية المناسبة للطفل، وتوحيد المعايير من خلال استغلال المادة المعروضة بقيادة الطفل نحو أفكار خلقية كالحسن والقبح من خلال إكسابهم القيم الخلقية السليمة كالآداب في التعامل مع احترام القوانين الخلقية والآخرين والحديث والصدق".[1]

"ويلعب التلفزيون دورا في بث القيم الأخلاقية والدينية فالحاجات للإنسان وحاجات الطفل متكاملة وتؤثر في بعضها البعض. ويعمل على تنمية الهوايات من خلال البرامج التي يبثها للطفل كبرامج الأسرة وأهميتها كقيمة دينية واجتماعية للحث على تكوين الأسر كقيم سامية مسؤولة عن استمرارية المجتمع. كما يحث التلفزيون على العمل كقيمة جوهرية كما يدعو إلى التعلم ويعزز قيم الحرية والديمقراطية والمشاركة. ويسهم في تأهيل الطفل وتقبله لمجتمعه ومسايرته للقيم والسلوكيات والتمسك بالقيم الاجتماعية".[2]

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تناولت موضوع التلفزيون وإسهامه في التنشئة الاجتماعية، يمكن القول إن التلفزيون لم يَعُدْ مجرد وسيلة للترفيه أو نقل الأخبار، إذ تحوّل إلى مؤسسة اجتماعية وتربوية وثقافية متكاملة، تُسهم بقدر كبير في تشكيل وعي الأفراد، وتوجيه سلوكياتهم، وبثّ القيم في المجتمع، إلى الحدّ الذي بات معه يُعدّ منافساً حقيقياً لمؤسسات التنشئة التقليدية كالأسرة والمدرسة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن التلفزيون يحتلّ موقعاً متميّزاً داخل المجتمع المعاصر؛ إذ يُسهم في تثقيفه، وتشكيل رأيه العام، ومرافقته في عمليات التغيير الاجتماعي والثقافي والقيمي. غير أن هذه المساهمة ليست محايدة؛ فهي تحمل في طياتها تأثيرات إيجابية واضحة من قبيل التوعية ونشر المعرفة وتعزيز المواطنة، كما تنطوي على تأثيرات سلبية محتملة كتفكيك بعض الروابط الأسرية، والترويج لقيم دخيلة، وإهدار الزمن الاجتماعي.

وعلى مستوى الأسرة، تبيّن أن التلفزيون يلعب دوراً مزدوجاً؛ فهو من جهة وسيلة لتجميع أفرادها في الفضاء الواحد، وتوحيد عاداتهم وأذواقهم وقيمهم، ومن جهة أخرى أداة قد تُضعف التواصل المباشر بينهم، وتُعيد رسم الزمن الاجتماعي الأسري وفق إيقاع شبكة البرامج، مما ينعكس على بنية العلاقات داخل البيت.

أما على مستوى الطفل، فقد أبرز البحث أن التلفزيون يمتلك قدرة استثنائية على التأثير في شخصية الطفل وفي قيمه وميولاته، بحُكم الخصائص التقنية والتعبيرية التي ينفرد بها. وهو ما يجعل منه وسيلة قوية لاكتساب المعارف وتطوير الذكاء وصقل القيم متى أُحسن توجيهها، لكنه قد يتحوّل إلى مصدر للعنف والتقليد والاستهلاك متى غابت الرقابة الأسرية والترشيد التربوي.

وبهذا تكون الفرضيات التي انطلق منها البحث قد وجدت ما يدعمها في الأدبيات النظرية والدراسات السابقة، مع الإقرار بأن تأثير التلفزيون يبقى تأثيراً نسبياً، يَتَحَكَّمُ فيه عدد من المتغيرات كطبيعة المضمون، وخصائص المتلقي، والمحيط الاجتماعي والثقافي، ودرجة الوعي الإعلامي لدى الأسرة.

[1] أحلام العمراوي، مرجع سابق، ص.109.

[2] أحلام العمراوي، مرجع سابق، ص.109.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومن ثَمَّ، فالتلفزيون سلاح ذو حدَّين، يستوجب التعامل معه بحذر ووعي؛ بأخذ ما يُفيد ودرء ما يضرّ، وذلك من خلال تكاتف جهود الفاعلين الإعلاميين والتربويين والأسريين في إطار رؤية شاملة لترشيد العلاقة بين هذه الوسيلة وعملية التنشئة الاجتماعية.

التوصيات:

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج، يمكن اقتراح جملة من التوصيات الموجهة إلى مختلف الأطراف الفاعلة في عملية التنشئة الاجتماعية ومنظومة الإعلام السمعي البصري:

أولاً: على مستوى المؤسسات الإعلامية والقنوات التلفزيونية

1- ضرورة وضع سياسات تحريرية واضحة تراعي الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المستقبلة للبرامج.

2- إنتاج برامج تربوية وتثقيفية وتوعوية موجهة لمختلف فئات المجتمع، وعدم الاقتصار على البرامج الترفيهية ذات الطابع التجاري.

3- تخصيص حصص ملائمة لبرامج الأطفال التي تجمع بين الترفيه والتعلم وتعزيز القيم النبيلة.

4- تكثيف البرامج التي تعزز قيم المواطنة والانتماء والديمقراطية وحقوق الإنسان والوحدة الأسرية.

5- وضع آليات للرقابة الذاتية على المحتوى المستورد، خاصة فيما يتعلق بمشاهد العنف والإعلانات الموجهة إلى الأطفال.

ثانياً: على مستوى الأسرة

1- توعية الآباء والأمهات بأهمية مرافقة الأطفال أثناء مشاهدة التلفزيون، والتفاعل معهم لمناقشة المضامين المعروضة.

2- تخصيص حيز زمني مناسب للمشاهدة بما يحفظ التوازن بين الوقت العائلي والأنشطة التربوية والاجتماعية الأخرى.

3- اختيار البرامج المناسبة لكل فئة عمرية والابتعاد عن البرامج التي تتعارض مع القيم الأسرية والاجتماعية.

4- تشجيع الحوار داخل الأسرة حول ما يُعرض على الشاشة، وتنمية الحس النقدي لدى الأطفال تجاه المضامين الإعلامية.

5- إعادة الاعتبار للأنشطة الأسرية التقليدية كالقراءة الجماعية والأنشطة الترفيهية المشتركة خارج البيت.

ثالثاً: على مستوى المؤسسة التعليمية

1- إدماج التربية على الإعلام (Media Literacy) في المناهج الدراسية لتمكين المتعلم من القراءة النقدية للمضامين التلفزيونية.

2- تنظيم أنشطة موازية وحملات توعوية حول الاستعمال الرشيد للتلفزيون.

3- التنسيق بين المدرسة والأسرة لتكامل الأدوار في تأطير علاقة الطفل بالتلفزيون.

رابعاً: على مستوى الباحثين والدراسات العلمية

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1- تشجيع إنجاز دراسات ميدانية حول تأثير التلفزيون في الأسرة والطفل في مختلف السياقات الاجتماعية.

2- إعداد دراسات مقارنة بين تأثير التلفزيون التقليدي وتأثير الوسائط الرقمية الجديدة على التنشئة الاجتماعية.

3- تطوير أدوات منهجية ملائمة لقياس التأثير الإعلامي في الفئات العمرية المختلفة.

خامساً: على مستوى الجهات الرسمية والمنظمة

1- تفعيل دور هيئات تقنين الإعلام السمعي البصري في حماية المتلقي، ولا سيما الأطفال من المضامين الضارة.

2- دعم الإنتاج الوطني الهادف وتشجيع المبدعين والصناع المحليين لمنافسة المضامين المستوردة.

3- إقامة شراكات بين القطاع الإعلامي والقطاعات التربوية والثقافية لخدمة أهداف التنشئة الاجتماعية السليمة.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

أولا: المراجع باللغة العربية

- إبراهيم مجتبايلي حفظ الله، وسائل الإعلام والتعليم، دار العلم العربي، بيروت، 1972.
- إحسان محمد الحسن، علم اجتماع الفراغ، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
- أحلام العمراوي، أثر التلفزيون في تفعيل القيم التربوية للطفل الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الإعلام والاتصال، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، 2017.
- أحمد الزبيدي، تأثير القنوات الفضائية على المجتمع وقيمه، الطبعة الأولى، دار النفائس، الأردن، 2014.
- أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، الطبعة الأولى، دار أماني عمر الحسني، الجزائر، 1998.
- أشرف قادوس، الأدب الإلكتروني: آليات الغرس الثقافي وأخلاقيات الطفل العربي، الطبعة الأولى، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2015.
- أماني عمر الحسني، الإعلام والمجتمع، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2005.
- أنجي وراك، وسائل الإعلام، ترجمة ميشال تيكلا، مطبعة الاستقلال، القاهرة، 1985.
- بن زروق جمال، أثر التلفزيون على سلوكيات وقيم الطفل، جامعة عنابة، تونس، 2019.
- جون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- راسم محمد جمال، الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، 2006.
- رولان كابرول، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، ترجمة مرشل محمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- زكريا عبد العزيز محمد، التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002.
- سعيد مبارك آل زعير، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 2008.
- صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات العربية، الطبعة الخامسة، دار المجدلاوي للنشر، الأردن، 2006.
- صالح خليل المقرور، الإعلام والتنشئة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- طه عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.
- عاطف شحاتة زهران، التلفاز وتنشئة الطفل الاجتماعية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 348، جويلية 1994.
- عبد الحميد حافيري، التلفزيون الجزائري: واقع وآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، لبنان، 1985.
- عبد الرزاق محمد الدليمي، عولمة التلفزيون، الطبعة الأولى، دار الحرير للنشر والتوزيع، 2005.
- عبد الله بوجلال، آثار التلفزيون على الأطفال، مجلة البحوث، عدد 1993/1992.
- فاطمة حسين عواد، الإعلام الفضائي، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- فرحات نادية، التلفزيون وتأثيره على القيم الاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
- كريس باركر، التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية، ترجمة علي أحمد صلاح، الطبعة الأولى، مجموعة النيل العربية، 2006.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- ماري وين وعبد الفتاح الصبحي، الأطفال والإدمان التلفزيوني، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، الكويت، 1972.
- مارشال ماكلوهان، كيف نفهم وسائل الاتصال؟، ترجمة خليل صابات وآخرون، دار النهضة العربية، لبنان، 1975.
- محمد بن عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998.
- محمد حمد خضر، تأثير التلفزيون على الأسرة، دار حضر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1998.
- محمد عبد الرزاق إبراهيم، ثقافة الطفل، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن، 2002.
- محمد علي البدوي، دور وسائل الإعلام في الحياة، دار النشر العربية، لبنان، 2006.
- مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، دار الكلم للطباعة، القاهرة.
- ممدوح رضا الجنيدي، وسائل الإعلام والطفولة بين الإيجابية والسلبية، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- نادية بركات، التلفزيون وتأثيره على القيم الاجتماعية والثقافية في الأسرة، رسالة جامعية.

ثانياً: المراجع باللغات الأجنبية

- Bhandari, Nidhi. Television as an Agent of Social Change among Indian Women: An Analytical Study. India, 2017.
- Courbet, D. & Fourquet, Marie-Pierre. Les Influences de la Télévision: État des Recherches. 2014.
- RTBF. Les Enfants et la Télévision. Études de Radio-Télévision, 1985.
- Royal, Ségolène. Le ras-le-bol des bébés zappeurs. Éditions Robert Laffont, 1989.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/